

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ألمقدمة

نحاول في هذا البحث أن نتبين فهم النص القرآني وتذوقه من خلال ما كتبه أحد علماء الإسلام في القرن الثامن الهجري:

وهو الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي (توفي سنة ٧٩٤هـ).

فلقد كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، كما ظل محل اهتمام علماء الأمة حتى الآن، وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً متعددة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه وغير ذلك، ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف ووضعوا من أجلها العلوم، ودونوا الكتب، وقطعوا في هذا الميدان الواسع أشواطاً بعيدة، حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام، ذلك التراث الذي دار معظمه حول النص القرآني، الذي قال عنه سهل بن عبد الله: "لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله وكلام الله صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثه مخلوقه (١)".

ولكى نتبين هذا الفهم وهذا التذوق حاولنا أن نرصد حركة التأليف في علوم القرآن من القرن الثالث الهجري حتى نهاية القرن الثامن الهجري، لنقف على فهم وتذوق عالم من

١- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة بيروت.

علماء الإسلام في القرن الثامن الهجري الذين كان لهم تأثيرهم فيمن جاء بعدهم من دارسي الكتاب الكريم.

ولقد كان وراء اختياري لموضوع النص القرآني عند الزركشي بين الفهم والتذوق أسباب منها:

١- أن اهتمام الدراسين- على مدار الفكر الإسلامي- كان موجهاً نحو علماء الإسلام غير المصريين، لذلك أردت أن أنبه إلى جهد عالم من العلماء المصريين الذين أسهموا إسهاماً كبيراً في الدراسات القرآنية.

٢- أن ما توصل إليه الزركشي من ابتكاره لمنهج في العرض لعلوم القرآن جدير بأن نقف عليه بالقياس إلى ما سبقه من دراسات في علوم القرآن.

٣- أن ما جاء بكتاب البرهان من علوم القرآن يعد منهلأ نهل منه العلماء الذين كتبوا في علوم القرآن بعد الزركشي.

٤- جهده في استقصاء علوم القرآن إذ عد منها سبعة وأربعين نوعاً.

٥- حفظه لمصادر هامة من مصانير التراث العربي.

ولقد اقتضت ضرورة المنهج أن تقسم الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة.

يتناول الفصل الأول: مقدمات كتب التفسير في علوم القرآن:

فبينت فيه ما جاء من علوم القرآن بمقدمات أشهر كتب التفسير ذات الاتجاهات

المختلفة في أزمنة مختلفة هي:

١- جامع البيان في تأويل آي القرآن: لابن جرير الطبري "توفي ٣١٠هـ" وهو يمثل التفسير

بالمأثور في نهاية القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري.

٢- **الكشاف:** لابن جار الله الزمخشري "توفي ٥٣٨هـ"، وهو يمثل الجانب المعتزلي في بداية القرن السادس الهجري.

٣- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي "توفي ٦٧١هـ"، وهو يمثل الجانب الفقهي في القرن السابع الهجري.

٤- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لابن جزى الكلبي الغرناطي "توفي ٧٤١هـ" وهو يمثل ما آل إليه التفسير من الاختصار في القرن الثامن الهجري في المغرب.

وبينت فيه ما اتفق في مناقشته أصحاب تلك التفاسير وما انفرد به كل منهم ثم وضحت المنهج الغالب على كل تفسير منها وما آل إليه التفسير في القرن الثامن من الاختصار نتيجة للأحداث التي أصابت العالم الإسلامي والتي ظهرت جلية ابتداء من القرن السابع إلى النهضة الحديثة، وفي تلك الفترة أصبحت العلوم ترديداً لما فات أو اختصاراً له<sup>(١)</sup>.

### ويتناول الفصل الثاني: كتب علوم القرآن:

بينت فيه فضل علماء التفسير بما أفردوه من مقدمات لعلوم القرآن على من ألف في علوم القرآن مجتمعة، وبينت فيه أن من ألف في علوم القرآن المفردة كثير لا حصر لهم وحددت أن الذي يهمننا في هذا الفصل إنما هو من ألف في علوم القرآن مجتمعة وبينت أن البداية الحقيقية للتأليف في علوم القرآن مجتمعة لم تكن في أوائل القرن الرابع الهجري بمؤلف ابن الأنباري "ت ٣٢٨هـ" عجائب علوم القرآن، حيث أثبت البحث أن كتاب عجائب علوم القرآن، وهو في الأصل كتاب فنون الفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي "ت ٥٩٧هـ"، وإنما كانت بما وصل إلى أيدينا من كتب ألفت في علوم القرآن

١- د. عفت الشرقاني: قضايا إنسانية في أعمال المفسرين ص ٧٤.

مجتمعة- بمؤلف نكت الانتصار لنقل القرآن لأبى بكر الباقلاني "ت٤٠٣هـ"، وبداية من الباقلاني حددت الكتب التي ألفت في علوم القرآن مجتمعة حتى عصر الزركشي وحصرتها في أربعة كتب، بينت ما جاء بها من علوم القرآن وما اتفق في مناقشته أصحابها وما انفرد به كل منهم لنقف على أهم ما وصل إليه التأليف حتى القرن الثامن.

ويتعرض الفصل الثالث: لمصادر الزركشي وبيان قيمتها:

وفيه بينت أهم المصادر التي استقى الزركشي منها مادة كتابه البرهان وحاولت في هذا الفصل أن أبين مكونات ثقافة الزركشي وأرتب مصادره حسب كل فن ورد في كتابه بعد أن بينت المخطوط والمطبوع وما لم نقف عليه منها.

ويدرس الفصل الرابع: أساليب الزركشي في فهم النص القرآني:

وقسمت هذا الفصل: أربعة أقسام:

أ- المنهج العام الذي سلكه الزركشي في التأليف: خصصت له جدولاً بينت فيه فهمه لكل علم وفوائد معرفته ومن صنف فيه وقال به وأجريت ذلك على جميع الأنواع التي ذكرها الزركشي في كتابه البرهان.

ب- أهم السمات الفكرية لفهم الزركشي لعلوم القرآن من حيث ابتكاره لمنهج في العرض لم يعهد عند من سبقه من دارسى القرآن الكريم، وجهده في استقصاء علوم القرآن وعدم تعصبه لمذهب فقهي معين أو اتجاه تفسيري أو مذهب كلامي أو غير ذلك.

ج- أساليب الزركشي في دراسة علوم القرآن: وبينت فيه فهم الزركشي لكل علم من تلك العلوم وأنها ضرورية للمفسر.

د- أساليب الزركشي في فهم النص القرآني: بينت فيه كيف فهم الزركشي النص القرآني، وطبق تلك العلوم.

ويتناول الفصل الخامس: معالجات الزركشي البلاغية للنص القرآني: بينت فيه معرفة إعجاز القرآن عند الزركشي وجعلته مدخلاً لمعالجات الزركشي البلاغية للنص القرآني من خلال تذوقه، وهو يرى أن المفسر لابد أن يحيط بعلم البلاغة الثلاثة، حيث حدد تلك العلوم وبينها، وعلى الرغم من أنه في معالجاته البلاغية لم يفصل بينها بل جعل أغلبها تحت اسم أساليب القرآن وفنونه البليغة، وجرياً وراء ما انتهى إليه الدرس البلاغي من تقسيم تلك الأساليب إلى علوم ثلاثة لذلك ارتأيت أن افرد لكل علم مباحث خاصة به.

فأفردت لعلم المعاني قسماً وبينت فيه ما يندرج تحته من أنواع وقسماً لعلم البيان وبينت فيه ما يندرج تحته من أنواع، وقسماً ثالثاً لعلم البديع وبينت فيه ما يندرج تحته من أنواع.

**وأثبت في الخاتمة نتائج هذه الدراسة.**

والله أسأل أن يكون علمنا خالصاً له، فإنه نعم المولى ونعم النصير.  
والله الموفق وعليه قصد السبيل.

١٠ محمد محمد عثمان يوسف